أحمد لب الماسني ودوره في ترسيخ العقيدة الإسلامية بماسينا

د. عبدالمولى علي محمد عمار ـ كلية الآداب – جامعة الزاوية

المقدمـــة:

كان لملوك الممالك الإسلامية الأفريقية في العصر الوسيط دور بارز في نشر الإسلام وثقافته في مناطق جنوب الصحراء الكبرى، ويعود الفضل إلى هؤلاء الملوك في وضع الأسس المتينة لتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد، ونشر الإسلام والثقافة واللغة العربيتين في المناطق المجاورة لبلدانهم.

ولكن بعد سقوط آخر هذه الممالك "مملكة سنغاي" على يد حكام مراكش سنة 1591م، بدأت الفوضى السياسية والفكرية تتصاعد بالمنطقة وبلغت ذروتها في القرنين السابع والثامن عشر الميلاديين، وصحب ذلك تدهور في التعليم الإسلامي، فلم يبق منه سوى بعض أئمة المساجد والكتاتيب يحاولون مراعاة أصول وأسس التعليم الأساسي بالقدر الذي يعرف بالمبادئ الأساسية، وكان من آثار هذا توقف تقدم الإسلام، فضلاً عن تدهوره عند المسلمين أنفسهم، بسبب كساد الحركة العلمية والدعوية، فأخذت بعض المعتقدات التقليدية والوثنية تتوطن في المجتمعات المسلمة بدعم ممالك وثنية قوية بالمنطقة، مما أثر على صفات الإسلام وقضى على معظمها[1]

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي شهدت هذه المناطق يقظة إسلامية بذل قادتها مجهوداً كبيراً لإحياء الإسلام والثقافة العربية في بلدانهم لإيمانهم الراسخ بالعقيدة الإسلامية، وكان من بين هؤلاء أحمد لب الماسني ببلاد ماسينا الممتدة حول ضفاف نهر النيجر من مدينة جي جنوباً حتى مدينة تمبكتو شمالاً[2].

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تهتم مشكلة هذه الدراسة بالبحث عن أسباب التراجع الفكري بمنطقة نهر النيجر، وما آلت إليه الثقافة العربية الإسلامية في ظل هذا التراجع.

والسؤال الذي يطرح نفسه:

- ما السبل التي حاول من خلالها أحمد لب الماسني إصلاح معتقدات مجتمعه وترسيخ العقيدة الإسلامية فيه؟

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى كونها تحاول متابعة التحول الفكري للمجتمعات الأفريقية ودراسة العوامل المؤثرة فيه.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز ومعرفة دور وأهمية الفكر والثقافة في حياة الأفارقة والاطلاع على آثارها في مجتمعاتهم.

منهج الدراسة:

أتُّبع في هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي لنتمكن من متابعة أحداث موضوع هذا البحث وتحقيق أهدافه.

محاور الدراسة:

من أجل تحقيق الأهداف المرجوة من هذا البحث فقد تم تقسيمه إلى المحاور التالية:

المحور الأول: أحمد لب نشأته وتعليمه.
المحور الثاني: الحرب بين أحمد لب وحكام ماسينا.
المحور الثالث: حرب أحمد لب ضد الممالك الوثنية.
المحور الرابع: الإدارة ونظم الحكم في عهد أحمد لب.

المحور الأول ــ أحمد لب نشأته وتعليمه:

ينتمي أحمد لب إلى قبائل الفلان التي كان لأبنائها دور طلائعي في تأسيس مراكز علمية لنشر الإسلام وتعاليمه في غرب أفريقيا، وهذه القبيلة كانت منتشرة في إمارات الهوسا وحول نهر النيجر[3].

ولد أحمد لب عام (1189هـ/1775م)، في مدينة تينيكو (Tenekou) ، بأراضي ماسينا من أسرة معروفة بعلمها وفقهها في علوم الدين والشريعة وعلوم العربية حملت على عاتقها نصح الناس وإرشادهم إلى تعاليم الإسلام الصحيحة، فهو ابن محمد بن أبي بكر بن سعيد بن مودي بن حمادي بن محمود بن أبي بكر قاضي فوت تورو (فوتاتورو)[4].

كانت أسرة أحمد لب تعيش بفوتاتورو معتمدة في حياتها على رعي الماشية وتربيتها، ونتيجة للظروف السياسية فضلاً عن مواسم الجفاف اضطرت الأسرة إلى

البحث عن مواطن الكلأ لمواشيها ، وأخذت في التنقل من مكان إلى آخر إلى أن وجدت المرعى المناسب بأراضي ماسينا ؛ وذلك في بداية القرن الـ14 [5].

بعد بضع سنين من مولد أحمد توفي والده، فتولى جده من جهة أمه الفقيه (ألفاغورو) كفالة حفيده، وصرف عنايته في تربيته تربية إسلامية، ومازال مع جده يتلقى منه دروسه الأولية في حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف حتى بلغ السابعة من عمره ، حينها أرسله إلى قرية لردي بالي (Laerde Bali) لمزيد التعلم على يد علمائها حتى حفظ بعض سور القرآن الكريم ، وبعد أربع سنوات التحق بمدرسة الفاسمبا حمادي باما، حيث تلقى دروساً في أسلوب قراءة القرآن الكريم وتجويده، ثم انتقل إلى قرية "سونو" (Sono) ليتبحر في علوم القرآن الذي حفظه في سن الثانية عشرة، وعند بلوغ عمره الثانية والعشرين علا نجمه وذاع صيته في شتى المجالات العلمية، فغدا يُلقي الدروس في الشريعة وعلوم الدين والبلاغة والمنطق[6]، ولما كثر إقبال الناس على دروسه رأى ضرورة مواصلة دراسته في علوم الدين والشريعة بمدينة جني مركز الإشعاع الفكري بالغرب الأفريقي، وفي هذه المدينة بدأت تصله أخبار وكتب آل فودي حكام الهوسا الإصلاحيين، وكان أكثرها يدور حول الوعظ والإرشاد والجهاد والمجاهدين والدعوة إلى الإسلام الصحيح، كما انصبَّت على معالجة قضايا العقيدة والدفاع عن أحكام الشريعة الإسلامية، وكيفية إعداد النواة الأولى لجماعة إسلامية قادرة على تأسيس دولة إسلامية[7]. تحمي الإسلام والمسلمين وتخلصهم من الثقافة الوثنية ونفوذها وطقوسها بالمنطقة، وبتأثير مباشر وقوي بمعتقدات القبائل الوثنية التي برزت سياسياً وفكرياً بعد سقوط السلطة المركزية بالمنطقة، وقد تأثر ابن لب بكتب آل فودي وأخذ بالعمل على نشر أفكارها في بلاده التي تعاني الظلم والممارسات المنافية للإسلام، فقام للدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة متنقلاً بين قرى ومقاطعات بلاده ناصحاً للمسلمين بالتمسك بتعاليم دينهم والتشبث بثقافته دون سواها[8].

وقد كان لهذا النشاط الدعوي أثره في نفوس العامة الذين بادر بعضهم إلى التعلق بهذه الدعوة وصاحبها ، ولكنه –أيضاً- أثار غضب أعيان المدينة وشيوخها التقليديين الذين أصدروا قراراً بإبعاد هذا الداعية عن جني بتهمة الفساد وجلب الفتنة، فغادر أحمد لب إلى قرية روندي سيرو وبنى بها مسجداً صغيراً اتخذ منه وأصحابه مكاناً للصلاة ومنبراً للدعوة للتغيير والإصلاح ، ولما سمع الوجهاء بهذه الجهود بعثوا من جني جماعة هاجمت المسجد ودمرته في محاولة لتفريق أتباع أحمد وإبعادهم عنه

للحد من جهوده وقتل دعوة الإصلاح في مهدها، بيد أن هذا العمل أشاع أخبار ابن لب بماسينا والتحق به علماء دين وغيرهم وأبدوا استعدادهم لمناصرته والوقوف إلى جانبه ضد معارضيه[9].

المحور الثاني ــ الحرب بين أحمد لب وحكام ماسينا :

نتيجة لتمسك الطرفين بموقفهما من الإصلاحات فقد تأزم الموقف بينهما وتسارعت الاستعدادات للحرب التي بدأت بمناوشات محدودة ثم تحولت إلى عمليات كرٍّ وفرٍّ للتعرف على نقاط الضعف في الطرف المقابل، ولتهيئة المقاتلين للاشتباك المباشر بالعدو، الذي جرى في معركة شديدة بموقعة "نكما" Nakma 13 جمادى الأولى عام 1233هـ/21 مارس 1818م، رجحت فيها كفة مقاتلي الحركة وتراجع الوثنيون وأتباعهم إلى قلاعهم الحصينة في قرية "فيمرى" Femary بالقرب من مدينة "سيبرا"Sebira الذين ما لبثوا أن شنوا هجوماً جديداً على الإسلاميين لكسر شوكتهم ورد الهيبة لجنودهم المنهزمين ، ولكنهم فوجئوا بيقظة مقاتلي الحركة وشدة بأسهم ، مما اضطرهم إلى التراجع مقهورين إلى مواقعهم السابقة[10].

استغل مقاتلو الحركة اضطراب موقف الأعداء فتحولوا من الدفاع إلى الهجوم وشنوا في 22 جمادى الآخرة/ 29 أبريل من نفس السنة هجوماً واسعاً على البنابرة وحلفائهم في مدينة فيمرى فقتلوا وأسروا بعضهم ، وفرَّبعضهم هرباً إلى جني وتفرق الآخرون في البلاد[11].

رأى أحمد لب أهمية استغلال هذا النصر الكاسح في تحقيق أهدافه بالنظر للحماس الشديد لأتباعه وما يشهده العدو من معنويات متدهورة بعد كسر شوكة جنوده في "فيمرى" فاستهل فتوحاته الحربية في بلاد ماسينا بالاتجاه نحو مدينة جني الخاضعة لنفوذ الوثنية منذ سنة 1735م، كانت مدينة جني أهم مدن أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى وأشهرها اقتصادياً وثقافيّاً وتمثل المعقل الرئيسى للفاسدين في المنطقة، وعليه رأى لب أن الاستيلاء عليها من شأنه حماية ظهره، فضلاً عن الاستفادة من أهميتها الاقتصادية وموقعها الجغرافي، إضافة إلى الدعم المعنوي ؛ لما تمثله هذه المدينة من مكانة عالية في نفوس مسلمي البلاد، أما من الناحية الاستراتيجية فإن إخضاع جني يفتح المجال واسعاً للتوسع في المناطق المجاورة على اعتبار أنها المركز الذي تدور في فلكه هذه المناطق ؛ ولذلك بدأ جيشه بالزحف على هذه المدينة في أواخر سنة 1818م، وتمكن من الاستيلاء عليها وأسر حكامها[12].

قبل مواصلة الزحف على باقي مدن ماسينا شرع قائد الإصلاح سنة 1819م، في بناء قاعدة لحكمه اختار موقعها بين "صفارا" Sofara و "تابكري" Taykri على الضفة الشرقية لنهر باني أهم روافد نهر النيجر، حيث تقع قرية "كوبي" ، وقد استغرق البناء ثلاث سنوات ، وأتاح هذا الموقع مراقبة نهر النيجر بين جني وتمبكتو ومن ثم مراقبة الطرق التجارية، وملاحظة أي تحرك مشبوه في المنطقة، وأقدم أحمد لب على تغيير اسم كوبي إلى حمد الله اعترافاً بفضل الله في تحقيق النصر على الكافرين، ومنذ أن بناها لم يخرج غازياً بنفسه قط[13]، وإنما كان يرسل جيشه بقيادة قواد محنكين لمحاربة الوثنيين وأتباعهم، وإرساء الأمن والاستقرار بالبلاد.

بعد إرساء التنظيمات اللازمة لحمد الله اتخذ مؤسسها لقب الشيخ فصار يسمى شيخ أحمد، وأعلن الدين الإسلامي ديناً رسيمّاً للبلاد، وأن القرآن الكريم هو قانونها في كل مرافقها، ومن هنا جاءت تسمية المملكة التي بناها ابن لب"بدينا Dina الدين[14]. وتدل هذه التسمية على مرحلة جديدة من تاريخ ماسينا، انصبّت الجهود فيها على إحياء الثقافة العربية الإسلامية والقيام بالدعوة والجهاد لدين الله، والاستعداد لمد النفوذ على بلاد ماسينا، وأصبحت بذلك الحركة الإصلاحية ذات توجه ديني وسياسي.

بعد أن استكمل ابن لب إرساء التنظيمات الضرورية لضمان سير الإصلاح وأعاد تنظيم أنصاره وجيشه، بدأ في توسيع حدوده منذ سنة 1822م، مستهدفاً إحياء السنن، وإماتة البدع والدعوة إلى دين الإسلام باللسان والسنان لتطبيق إصلاحاتها في بلاد ماسينا كافة، فشرع جيشه في الزحف على المناطق الخصبة والآهلة بالسكان الواقعة في نهر النيجر الأوسط وتمكنت من إخضاعها الواحدة تلو الأخرى حتى دخل سنة 1828هـ مدينة "تمبكتو" العريقة الواقعة على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى[15].

المحور الثالث ــ حرب أحمد لب ضد الممالك الوثنية :

إن حرب الجهاد ضد الوثنيين انطلقت من دائرة النفوذ السياسي للإسلام، وقد مهدت الغلبة العسكرية للحركة الإصلاحية بزعامة أحمد لب لتلقي بثقلها نحو الوثنيين في سيغو وكارتة[16]، فقد كان ابن لب وأنصاره في حماس شديد للإسلام وثقافته، وأسدوا للمسلمين في هذه البلاد خدمة جليلة تمثلت في إعادة وحدة ماسينا وتخليصها من الفوضى الأمنية والاضطرابات السياسية وإحياء الثقافة العربية الإسلامية بها من جديد؛ ولذا أحدثت الحركة الإصلاحية صدى واسعاً في أوساط العناصر المسلمة في

المنطقة ، ولاقت انتصاراتها وفتوحاتها تأييداً وترحاباً كبيرين، ومن ذلك قول أحد الشعراء في قائد هذه الحركة.

وكذلك أحمدو لوبو فهو متوج بالزهد نعم العابد المتدين
فقد جدد الدين بعصره أحبب بهذا المرشد المعـوان[17]

ولاستكمال مهمة الحركة الإصلاحية وتحقيق أهدافها، فقد اهتم قائدها أحمد لب منذ مطلع سنة 1829م، بالشروع باسم الإسلام في فتوحات واسعة على حساب الممالك الوثنية القوية ، حيث تمتد سيغو في جنوب غربي ماسينا وكأرتة في الشمال الغربي.

لقد استهل لب فتوحاته للمناطق الوثنية بشن حملات عسكرية لتأمين حدود مملكته من غارات مملكة سيغو المحيطة بمدينة "جني" من جهة الغرب ، وقد تمكنت هذه الحملات من تحقيق مكاسب مهمة في المناطق الوثنية برغم أن تقدمها فيها كان بطيئاً بسبب كثافة غاباتها وكثرة مستنقعاتها التي حدَّت من سرعة التقدم ومباغتة العدو، الأمر الذي استغله الوثنيون في مهاجمة الجيش الإسلامي وإصابته بضربات قاسية وخسائر فادحة ، ولكنها لم تكن قاضية لاستماتة هؤلاء في القتال ورغبتهم في نصرة الإسلام ونشره أو نيل الشهادة دونه، علاوة على قدرة أحمد لب الذي اتخذ من الإسلام والجهاد في سبيله أداة ثبت أنها فعالة جداً في تجنيد أعداد جديدة من المقاتلين وإلحاقهم بجبهات القتال لتعويض النقص الحاصل في الجند جراء شراسة الاقتتال. وللمقاومة العنيفة التي أبداها المدافعون عن سيغو[18]، مما كلف الطرفين خسائر بشرية كبيرة اضطرتهما إلى إيقاف المواجهات المسلحة بينهما والجلوس إلى طاولة المفاوضات .

إن العامل الأساسي في ضراوة مقاومة سيغو للجيوش الإسلامية إضافة إلى وعورة دروبها وحصانة قلاعها الدفاعية العملاقة التي كان من أهمها: قلعة بكوغي Bak oghi شرق البلاد، وقلعة نسينساني Nasinasi إلى الشمال منها، إضافة إلى قلعة واتالا Watala. فقد مثلت هذه القلاع وغيرها إلى جانب مناعتها مخازن لا تنفد من الجند والمؤن التي كانت تتدفق إلى أرض المعارك ضد المسلمين.

ونتيجة لذلك توقف تقدم جيش الإسلام نهائياً في هذه الجهات بحلول سنة 1830م، ودخل الطرفان الإسلامي والوثني في مفاوضات شاقة أسفرت عن مجموعة من التفاهمات كان أهمها:

1- توقف القتال بين مملكة دينا ومملكة سيغو وعدم الاعتداء بينهما، واعتراف كل منهما بنفوذ وسيطرة الطرف الآخر عند الحدود التي توقفت عندها الحرب.
2- حرية التجارة والتنقل بين رعايا المملكتين[19].

وهكذا استطاعت الحركة الإصلاحية في النيجر توسيع حدودها ونفوذها في الجنوب الغربي على حساب مناطق نفوذ الوثنيين في سيغو، وتمكنت من اقتطاع مدن مهمة منها مثل جينري Jenri وديواوتنيكو Wedia Wetnico [20] لتدخلها في حضن الإسلام والمسلمين.

كان قتال أحمد لب لمملكة سيغو بالرغم مما حققه من مكاسب وتوسيع نفوذ الإسلام على حساب نفوذ الوثنية ، غير أنه أنهك جيشه وكلفه خسائر بشرية كبيرة ، ونتيجة لذلك لم يجد أحمد لب بداً من تأخير إعلان الجهاد على مملكة كأرتة الوثنية إلى حين منح المقاتلين الراحة اللازمة والعمل على جمع وتدريب أعداد جديدة منهم لتعويض قتلى جبهات سيغو، وخاصة أن كارثة كانت خلال هذه الفترة (الثلث الأول من القرن الـ19م) معروفة بقوتها وشراسة مقاتليها في الحرب.

تقع هذه المملكة الوثنية شمال سيغو حيث تمتد في شمال شرق نهر الباخوي Bakui أحد روافد نهر السنغال، ومنذ تأسيسها خلال النصف الأول من القرن الـ18م، ناصبت المسلمين المحيطين بها العداء ، وعملت على فرض ومد نفوذها على حساب مناطقهم، حتى بلغت شأناً عظيماً بحلول القرن الـ19م، عندما أخضعت لسيطرتها أقاليم ديافونو Diafunu وكولومبيني Kolombini وجوديوم Gouadiume وباكونو Bakunu ، مما مكَّنها من أن تصبح قوة اقتصادية وعسكرية كبيرة ، فهذه المناطق تميزت بمنتوجاتها الزارعية والحيوانية المتنوعة ، علاوة على تحكمها في التجارة وطرقها المؤدية إلى الاتجاهات كافة، مما عاد عليها بأرباح طائلة استفادت منها في بناء قلاع وحصون عسكرية عملاقة، وشراء أعداد كبيرة من العبيد يتم تأهيلهم بقوة للخدمة العسكرية ، حتى أسست جيشاً أُعدَّ من أقوى جيوش المنطقة لكثرة عدده وعدته، إضافة إلى تدريبه الجيد وإتقانه لصناعة البارود[21]، وكانت قوة هذا الجيش تعتمد أساساً على فرقتين رئيستين الأولى: تتكون من المشاة ، ومهامها في الحرب، فتح ثغرات في صفوف العدو ليتسنى للفرقة الثانية المكونة من الفرسان الانقضاض عليه وتشتيت أفراده[22].

ولعل هذا هو السبب الذي جعل أحمد لب لا يتسرع في غزوها برغم غارتها على مناطقه في تمبكتو وما جاورها، وترك الأمر إلى ما بعد تأمين حدوده الجنوبية

الغربية حيث شن الحرب على سيغو، وعمل على جمع أكبر ما يمكن من الرجال والعتاد لمواجهة القوة الضاربة لكأرتة، ولما تحققت هذه الشروط غدا يُعد العدة والخطط لمحاربة هذه القوة.

تحرك جيش أحمد لب سنة 1832م تجاه الشمال الغربي واشتبك في معارك طاحنة مع جيوش كأرتة، وكان أعنفها يدرو حول مدن كزاكي Kazakei وصامبا كسا Sampa Kassa وباساكا Basaka، حيث تمكنت الجيوش المسلمة من السيطرة على أجزاء منها، بعد أن أزهقت أرواحاً كثيرة من الطرفين، ونتيجة لعجز أي منهم عن حسم المعركة لصالحه بسبب روح الجهاد العالية لمقاتلي الحركة، والمهارة القتالية والأعداد الهائلة لجنود كارثة الذين يوصفون بأنهم أناس محاربون[23]. فقد توقف القتال بينهما بحلول سنة 1834م، وأصبح كل طرف يعترف بنفوذ الطرف الآخر على الحدود التي توقفت عندها الحرب.

وهكذا تمكن المسلمون في ماسينا من إلحاق أول هزائم عسكرية بجيوش الوثنية القوية في سيغو وكأرتة منذ ظهورها في منتصف القرن الـ18م، وقد كان من نتيجة ذلك انفصال ماسينا عن هذه الممالك الوثنية ، وتخلُّصها نهائياً من نفوذهم وغاراتهم المدمرة على مناطقها، علاوة على أن انتصار المسلمين على جيش هؤلاء الوثنيين التي كانت الفكرة الراسخة حوله بأنه لا يقهر، قد غير النظرة إليه إلى إمكانية هزيمته متى توافرت العزيمة والإيمان الصادق.

وعندما توافرت هذه الشروط في أحمد لب وحركته الإسلامية نصرهم الله على المشركين ومن والاهم ، وتم ملكه لهم بإخضاع جميع المناطق الواقعة على ضفتي نهر النيجر من مدينة تمبكتو الاستراتيجية حتى مدينة جني العلمية. كما توسعت الحركة في أقاليم جينري Jenri وديناتنيكو Dia Tenico وكزاكي Kawakei وصامبا كاسا Sampa Kassa التي كانت خاضعة للبمبارا في سيغو وكأرتة.

وبجهود أحمد لب وحركته الإصلاحية خطا الإسلام وثقافته خطوات واسعة في هذه الأرجاء ، فقضت على معظم العادات الاجتماعية الوثنية من سحر وشعوذة وعبادة الأسلاف وربطت المحبة الحاكم بالمحكومين ، وعمرت البلاد بالعدل والإحسان، وأمنت المخاوف لكل السالكين، وشيدت أركان الدين وجددت الجهاد في سبيل الحق لإعلاء كلمة الله ، وصارت ماسينا ملجأ السنة وكهفها.. ومازالت بها قواعد الدين مستقيمة، وسبل الشريعة قويمة"[24] .

وكان من ضمن منجزات هذه الحركة ما قاله محمد بن طاهر في قائدها أحمد لب:

محي العلوم ومحي الدين زينـهما	حمالـنا قيد ظلم يفتح الســبلا
بيت الأرامل والأيتام مطعمــهم	مكسبهم كل يوم ولا يجيب بــلا
يعطيك قبل سؤال الخزي عن كرم	يعيد لا قال قد أعطـــيته أولا
مكسر الأصنام بناء المساجــد	في سهل كما كان أيضاً يفتح الجبلا
مسكين الحي وأملاك البلاد لــه	إن قال ظلوا على أقدامكم حصـلا
ماش على قدم الألف يتبـــعه	من الخيول من ومن يأمر له نزلا[25]

يوجز هذا القول محاسن ومنجزات أحمد لب (1845-1818م)، فهو يدل دلالة واضحة على تواضع هذا المصلح مع رعيته وخدمته للمحتاجين منهم، علاوة على إحيائه للإسلام وثقافته العربية ومحاربته للوثنية ببلاد ماسينا.

المحور الرابع ــ الإدارة ونظم الحكم في عهد أحمد لب:

أسس أحمد لب الحركة الإصلاحية وأقام مملكة دينا بماسينا على أُسس منظمة مدعمة، ولكي يضمن تطبيق الإصلاح فقد تولى بنفسه الإشراف الدقيق على مسار الأحوال في أقاليم مملكته، وأوجد نوعاً من اللامركزية يرتكز على تكوين مجلس استشاري أعلى متكون من أربعين مستشاراً بالعاصمة "حمد الله" إضافة إلى ستين قاضياً موزعين حسب تقسيمه للبلاد إلى عدة ولايات، هي : جنيري Jenri فكالا كوناري Vakala Konari حاير سيتو Hauer Sito ماسينا Masina نابي دوبي Napi Doupi ، وعلى رأس كل ولاية حاكم عسكري يساعده مجلس ديني وآخر قانوني، ولكل من المجلسين نوع من الاستقلال ، إذ يمكن لأحدهما أو كلاهما تقديم شكاوي ضد الحاكم العسكري إذا ما رأوا فيه انحرافاً عن مبادئ الحركة الإسلامية بالمملكة ، وكان أحمد لب قد اختار مستشارين اثنين من مجلس الأربعين واعتبرهما مستشارين خاصين به، بحيث لا يمكن لباقي المستشارين أن يقدموا أي مشروع إلا بعد موافقة هذين المستشارين ، وخرجت ولاية ماسينا عن هذه القاعدة باختياره لثلاثة مستشارين من مجلسها الاستشاري ليس من حقهم تمرير أي قرار إلا بعد موافقة المجلس الأعلى بحمد الله[26].

وكان التنظيم الإداري بماسينا قبل حكم الحركة الإصلاحية غير منظم، ففي المدن الكبرى ترتكز السلطة السياسية التي تدور في فلكها الأقاليم التي تدفع لها الجزية، وتقدم لها الهدايا ، وتساعدها في اعتداءاتها على المدن الأخرى بالرجال

والمؤن، وكانت سلطة حكام هذه المدن تتوقف على مدى رضا السلطة المركزية بالمدن الكبرى، وكان بوسع هؤلاء الحكام رفع راية العصيان كلما أحسُّوا بضعف سلطة المدن التابعين لها.

كان أحمد لب يقف على قمة النظام السياسي والإدارى، وكان يعين حكام الولايات ممن يثق في إخلاصهم، ويراقبهم مراقبة دقيقة فيثبت المحسن ويعاقب المسيء، وبهذا تفادى إتاحة الفرصة لهؤلاء الحكام في استغلال مناصبهم، ويمكن أن يقال إن حكام الولايات كانوا يمثلون قمة الهرم الوظيفي وعليهم تعتمد ماسينا في إدارة الأقاليم التابعة لها.

ولم تلجأ الحركة الإصلاحية وقائدها أحمد لب في إدارة شؤون الرعية إلى العنف إلا للضرورة، بل كانت السياسة المتبعة هي أنه يجب التغيير بتلطف بما تسعه عقول الرعية وتدركه أفهامهم[27].

أما في مجال القضاء فقد عينت الحركة الإسلامية القضاة للفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية والأعراف الاجتماعية ؛ بشرط عدم تعارضها مع تعاليم الإسلام، وكانوا يحكمون في الأمور التي تتصل بعامة الناس، منها : الأحوال الشخصية والمدنية المتعلقة بالإرث والديون والقروض والتجارة، والإشراف على أموال اليتامى حتى يرشدوا ومراقبة الأخلاق العامة، حيث عُدَّ القاضي الحارس الأمين على أملاك الرعية وأمنهم؛ لذلك كان للقضاء استقلالية تامة وله حرية النظر في المرافعات والشكاوي التي ترفع إليه دون الالتفاف إلى أية جهة ، إلا إذ تعلقت القضايا بالحرابة وسفك الدماء، ففي هذه الحالة تحال إلى المحكمة العليا بالعاصمة حمد الله[28].

ونتيجة لذلك حظي القضاة بدرجة عالية من الاحترام والتقدير لإسهاماتهم في حفظ الأمن والاستقرار ورد الحق لأصحابه والمحافظة على المصالح العامة. فعاشت ماسينا في طمأنينة وقلة الظلم والتعدي ووقع الأمن من الفساد والخسف.

استمر أحمد بن محمد لب في حكم بلاد ماسينا وقيادة الحركة الإسلامية بها لمدة 27 عاماً (1818-1845م) وقد شهد عهده أقصى اتساع لمملكة دينا، بحيث شملت مدن وأقاليم النيجر الأوسط الممتدة ما بين مدينة "تمبكتو" الواقعة على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى ومدينة "جني" الكائنة على الحافة الشمالية للغابات الاستوائية. ويرجع الفضل في ذلك إلى قدرته وكفاءته الإدارية والعسكرية والسياسية والتزامه الديني.

نتائج البحث:

من خلال دراسة موضوع البحث توصل الباحث إلى عدة نتائج من أهمها:

1- إن الدافع لحركة الإصلاح بماسينا بزعامة أحمد لب هو تغلغل الوثنية وثقافتها في هذه البلاد المسلمة.

2- إن مما ساعد أحمد لب على الدعوة للإصلاح وتطهير العقيدة الإسلامية هو مناصرة الأهالي لدعوته.

3- تمكن ابن لب من مواجهة قوة الوثنيين وهزيمتهم بفضل إيمانه العميق بضرورة نشر الإسلام والتخلص من نفوذ الوثنية بالمنطقة.

4- إن الحركة الإصلاحية بماسينا نجحت في إقامة نظام إداري وقضائي قائم على أسس من العقيدة الإسلامية وحقق العدل والمساواة بهذه البلاد.

هوامش البحث:

(1) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 2001، ص219.

(2) مدينة تمبكتو تقع في الأجراف الجنوبية للصحراء الكبرى على ضفاف منحنى نهر النيجر، أما مدينة جنى فهي تمتد على ضفاف نفس النهر جنوب تمبكتو بمسافة مئتي ميل.

(3) مصطفى الغريدي: "أسرة (أل فودي) ودورها في ترسيخ الإسلام ونشر اللغة العربية بشمال نيجيريا" أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جانبي الصحراء، كلية جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998، ص280.

(4) عبدالعزيز حامد ميغا: مراكز الفكر الصوفي ومدارسه بغرب أفريقيا معطياته ومشكلاته، رسالة ماجستير، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 2007، ص159.

(5) نفس المرجع، ص60.

(6) I'empire Peul du Macina a.h.ba etj. Daget/les houvelles editions a fricains, p21.

(7) عناية أدم الألوري: الإسلام في نيجريا، (د-د) ، 1398هـ، ص95.

(8) عبدالعزيز حامد ميغا: مرجع سابق، ص165.

9)) I'empire Peul du Macina a.h.ba etj, P24.

(10) هو تسماءت وآخرون: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ت: حسين حبشي، مج 29، مركز الشارقة للإبداع الفكري، (د-ت) ، ص29.

(11) عبدالعزيز حامد ميغا، مرجع سابق، ص71.

(12) إلهام محمد علي الدهني: جهاد الممالك الإسلامية ضد الاستعمار الفرنسي 1850-1914، دار المريخ، الرياض، (د-ت) ، ص46.

(13) موسى أحمد كمره، زهور البساتين في تاريخ السوادين، (مخطوط) ، مكتبة الباحث، ص73.

(14) أحمد الأزمي: الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2000، ص514، 515.

(15) إلهام محمد علي الدهني، مرجع سابق، ص46.

(16) سيغو وكأرتة: قبائلها وثنية كونوا حتى منتصف القرن الـ19م، ممتلكان قويتان على ضفاف نهر السنغال ، ومدتا نفوذهما الفكري والثقافي إلى مناطق واسعة من أفريقيا الغربية في ظل ضعف الإسلام ومؤثراته بالمنطقة خلال هذه الفترة.

(17) صديق بن سعيد: القصيدة النونية في مدح بعض مشائخ القبائل الفلانية، (مخطوط) ، مكتبة الباحث، ص2.

(18) Ly Tall, M., Le jihad omarien dans le royaume de segou, Bulletin de l'l F. A. N. Serie B, T, 35. n3-4, 1983. P 41.

(19) I bid.

(20) Robinson. D. La guerre sainte d'al-Hajj umar, traduit de LAnglais par Henry Tourneux et Jean-Claude vuillemin, Ed. Karthala. Paris, 1988.

(21) م.لي – تال: ماسيننا وامبراطورية التورورية (التكرور) في عام 1878: (تاريخ أفريقيا العام، مج6، ط2، اليونسكو، الملكسب – لبنان، حسيب درغام وأولاده، 1997م) ، ص691.

(22) د. لي – تال: نفس المرجع والصفحة .

(23) د. لي – تال: نفس المرجع والصفحة .

(24) عبدالعزيز حامد ميغا: نفس المرجع، ص177.

(25) عبدالعزيز حامد ميغا: نفس المرجع، ص163.

(26) I'empire Peul du Macina a.h.ba etj, P60.

(27) عبدالعزيز حامد ميغا: نفس المرجع، ص163.

(28) I'empire Peul du Macina a.h.ba etj, P65.